اوروبا الشرقية واسرائيل

تطوّر العلاقات السياسية والاقتصادية

د. جمال علي زهران

ان أحد أهمّ الانعكاسات للتطورات السياسية التي شهدتها الكتلة الشرقية، هو طبيعة العلاقة بين دول هذه الكتلة وبين اسرائيل. وترجع هذه الاهمية الى ما تركه تطوّر هذه العلاقة على ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ المنطقة العربية بل والعالم كله.

وتمثّل العلاقات المتبادلة بين الدول، في وجهها الدبلوماسي، بعداً هاماً من أبعاد قوة الدولة. وبالطبع، لا تُقصد العلاقات الدبلوماسية في ذاتها، وانما ينظر اليها من حيث تداعياتها، وآثارها، والقدرة على توظيفها في تحقيق الاهداف الكبرى للدولة، بل إنه يمكن النظر الى المسألة من حيث قدرة الدولة على ادارة علاقاتها الخارجية من منظور قدرتها على تكوين شبكة علاقات اقتصادية، ومصالح متداخلة، يصعب معها اتخاذ القرارات بسهولة من جانب الطرف الآخر، بما يشكّل نوعاً من الحصار والقيد على صنع القرار في الدولة. بل أكثر من هذا، يمكن تفسير سلوك الدولة ومواقفها في مجال السياسة الخارجية، دبلوماسياً وعسكرياً واقتصادياً، في اطار ما يمكن ان تستغله من علاقاتها في اسناد مواقفها ودعمها، إنْ بصورة علنية، أو بشكل صامت، يعبّر عن تأييد ضمني. ويمكن للباحث المدّقق ان يرصد هذه الافتراضات في تطور العلاقات بين دول الكتلة الشرقية وبين اسرائيل موضوع الدراسة، في خلال السنوات الخمس الاخيرة والتي اتضحت بشكل أكبر منذ العام الماضي ١٩٨٩، بل يمكن رصد السلوك الاسرائيلي في المنطقة العربية وتفسيره في ضوء تطوّر هذه العلاقات.

تستهدف هذه الدراسة، اذاً، تحليل طبيعة التطور على صعيد العلاقات بين دول الكتلة الشرقية التي تشمل الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية الاخرى، وبين اسرائيل؛ ومن ثم تحليل انعكاس هذا التطور على قضايا المنطقة العربية، واستشراف آفاق مواجهته.

الاتحاد السوفياتي واسرائيل

كان لتولّي ميخائيل غورباتشيوف الحكم في الاتحاد السوفياتي، وما تمخّض عنه من تغيّرات واضحة في المجتمع السوفياتي نتيجة تبنّيه سياسة المكاشفة أو المصارحة (غلاسنوست)، وسياسة اعادة البناء (بيروسترويكا)، آثاراً هامة على توجّهات دول الكتلة الشرقية في علاقاتها مع محيطها الخارجي. فقد طرح غورباتشيوف، على نطاق واسع، أفكاراً استهدفت اعادة النظر ومراجعة السياسات المتّبعة قبله بصورة نقدية. وفي هذا السياق، طرح فكرة اعادة النظر من جانب بلاده في طبيعة تفاعلها مع المنطقة وصراعها الاقليمي؛ وكذلك اعادة النظر في الرؤية السوفياتية